الأسر والبيوتات العلمية في منطقة الزيبان خلال القرن 12هـ/18م

FAMILIES AND SCIENTIFIC HOUSES IN THE ZAYBAN REGION IN THE 12 ^{ah} CENTURY HIJRI 18^{ad}.

الباحثة: سهام بومعزة **Sr. Siham BOUMAZA**
جامعة وهران1 **Univ. of ORAN1**
Boumazasiham27@gmail.com

الأستاذ الدكتور: عبد المجيد بن نعمية **Pr. Mohamed Amine MEZIANE**
جامعة وهران1 **Univ. of ORAN1**
labomanuscrit@gmail.com

استلم:	**2017/12/06**	***Received:***	قُبل للنشر:	**2019/02/03**	***Accepted:***

ملخص:

شهدت منطقة الزيبان في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر ميلادي حركة علمية ثقافية دينية في مختلف الجوانب، حيث جعلتها منارة للعلماء والشعراء ، وتميزت بالعديد من العلماء الأجلاء الذين جاهدوا في سبيل الله ورسوله بكلمة الحق، وعاهدوا الله على نشر دين الإسلام الحنيف وسنة نبيه محمد عليه أزكى الصلاة والسلام، كما كان لهم دور كبير في التعليم في مختلف العلوم، والقضاء على الجهل والأمية.

الكلمات المفتاحية: الزيبان؛ العلماء؛ القرن الثاني عشر هجري؛ الأسر؛ البيوتات.

Abstract

In the twelfth century AH, the Zayban region witnessed a scientific and religions cultural movement in v anous aspects. There fore, it become as a beacon toll scholars andpoets.

This penod characteuzed with different and special Scientists who struggled for the sake of Allah and His Messenger with the word of truth and pledged to spread the religion of Islam and the sunnah of his praphet Muhammed, peace be upon him, As they had a great, ole in edueation in vanous sciences and the elimination of ignorance and illiteracy.

Keywords: *Zayban; Scientists; Twelfth century Hijri; Families; The cottages.*

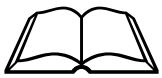

المقدمة:

إنّ عراقة منطقة الزيبان قد ضربت آفاق التاريخ، وكانت من أهم المناطق الجزائرية التي أدت دوراً فعالاً في الثقافة الجزائرية، حيث اشتهرت بعلمائها وخاصة هذه الفترة ق12ه/ 18م، إذ تميزت بصبغتها العلمية في ترسيخ تعاليم الإسلام وتثبيت قواعده، وكانت معبر للعديد من الرحلات مثل الورتيلاني والعياشي والدرعي وغيرهم من الرحالة الذين زاروها وتحدثوا عنها في مؤلفاتهم، حيث ساهمت الحركة العلمية للمنطقة على نشر العديد من العلوم والمعارف.

ولعل ذلك ما جعلنا نلفت النظر إلى هذه المنطقة وخاصة علمائها في هذه الفترة؟ التي ساد فيها الجهل والخرافات والبدع الضالة، فكان للعلماء دور فعال في محاربة هذه الأمور التي تمس عقيدتنا وديننا الحنيف؟ وقد تميزت هذه الفترة على أنّها كانت تحت الحكم العثماني.

حيث يقول أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن: «ظهور العلماء كفئة متميزة ليس وليد العهد العثماني لا في الجزائر ولا في غيرها من العالم الإسلامي، فقد بدأ- كما نعلم- منذ استولى على شؤون المسلمين حكام جهلة ليس لهم صلة بالحضارة الإسلامية واللغة العربية ولا بأمور الدين، ومن ثمة منذ ضعفت الدولة الإسلامية. فجهل الحكام هو الذي مهد لظهور العلماء كفئة متميزة ليسدوا الفراغ كمستشارين ومشرعين ومفسرين، وأصبح شعار العلماء هو أنّهم هم «حماة الدين» و «مصابيح الظلام»، بينما لم يكن الأمر كذلك حين كان الحكام علماء والعلماء حكاماً».[1]

وكان العلماء يقومون برسالة هامة في المجتمع، من إصلاح ذات البين، ولا سيما في الأرياف وتوعية العامة بقواعد الشرع وأحكامه الصحيحة، والعامة كانت مقلدة ولا تثق في الحكام بقدر ما كانت تثق في العلماء والمرابطين، ولذلك كان دور هؤلاء عظيماً بين العامة. ولما كانت السلطة السياسية في بعض المناطق شبه معدومة فقد كثرت النزاعات والمشاغبات واللجوء إلى القوة تحكيم الهوى

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/1998م، ص388.

والعادات القبلية أكثر من تحكيم الدين والقواعد الإنسانية والتضامن الاجتماعي. لذلك كان العلماء في الأرياف يقومون بإعادة الحق إلى نصابه ويفتون الناس فيما جهلوا.[1]

ولعل ظهور العلماء في منطقة الزيبان خلال هذه الفترة راجع إلى عدم معرفة الحكام العثمانيون بأمور الدين ولا حتّى بالعادات التي كانت سائدة في الجزائر بصفة عامة، وبذلك ظهرت هذه النخبة العلمية لتوعية الأفراد وتبيان الحق من الباطل، ونبذ الجهل في أوساط المجتمع.

التعريف بمنطقة الزيبان:

تعددت التعريفات للزيبان عند العديد من المؤرخين حسب القرون، وذلك لأهميتها التاريخية والجغرافية، فمفردها زاب ويعتقد بعض الباحثين أن الزاب بالأمازيغية يعني الواحة .[2] حيث عرفه ابن خلدون بقوله «وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعًا جمعًا، يعرف كل واحد منها بالزاب، وأولها زاب الدوسن، ثم زاب طولـَقَة، ثم زاب مليلة، وزاب بسكرة وزاب تهودا و زاب بادس، وبسكرة أمّ هذه القرى كلها ».[3] وبذلك يرى ابن خلدون أن كلمة الزاب أو الزيبان تطلق على القرى والقصور التي تمتد من بسكرة إلى وادي ريغ،[4] فهو يحدد كل قرية من هذه القرى من منطلق أنها زاب على خلاف ياقوت الحموي الذي يعرفه بقوله : «بأن الزاب الكبير منه بسكرة وتوزر وقسنطينة وطولقة وقفصة ونفطة وبادس. والزاب أيضا كورة صغيرة يقال لها ريغ وهي كلمة بربرية

(1) المرجع نفسه، ج1، ص ص444، 445.
(2) حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج5، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط: 2011م، ص256.
(3) عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:2/ 1408هـ 1988م، ص 585.
(4) حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج5، ص23.

يقال لها السبخة «.[1] كما نجد ابن الأثير يذكر بلاد الزاب بقوله «بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة «.[2]

ومن ذلك تميزت هذه الفترة بالنشاط العلمي والثقافي ، إذ كانت هناك عائلات كبيرة مهتمة بالعلم، توارثت العلوم أب عن جد. ومن ذلك سنحاول التطرق إليهم والتعريف بهم:

حيث اجتمع الورتيلاني بالعديد من العلماء في هذه الفترة (18م) حيث يقول: «وتلاقينا في تلك الزيارة مع أفاضل الزاب ونجبائه ولا شك أنّ أكثرهم مجاب الدعوة كالشيخ الفاضل الفقيه المدرس في مسائل المختصر للشيخ خليل بشرح القدوة صاحب الأنوار الشيخ التتائي مع حاشية مصطفى سيدي محمد الشريف من بني جلّال وأهله من الأشراف..»[3]

1. عائـــلة الخنقي:

أ) محمد بن محمد الطيب الخنقي: (ت1154ه/ 1741م).

هو محمد بن محمد الطيب بن أحمد بن المبارك بن قاسم بن ناجي، ابن هذه الأسرة العريقة التي ورثت الحكم والعلم والتصوف، وجده هو الشيخ المبارك بن قاسم مؤسس بلدة سيدي ناجي، ولد بخنقة سيدي ناجي في سنة 1078ه/ 1667م، وتتلمذ على العلماء الذين كانت تعج بهم الزاوية، وقد كان كثير التنقل في شبابه، زواراً لأهل الفضل والعلم، كما تتلمذ على علماء أجلاء بتونس منهم

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، دار صادر، ط:1 لونين بيروت 1993، ط:2 لونين بيروت 1995، ص 124.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج3، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط: 1407ه،1987م، ص 451.

(3) الحسين بن محمد الورتيلاني، الرحلة الورتيلانية (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار)، مطبعة بيير فونتانا الشرقية في الجزائر، 1326ه/ 1908م، ص5.

الشيخ علي بن محمد النوري الصفاقسي (ت1118ه/ 1706م)[1] الذي أخذ عنه بصفاقس سنة 1103ه/ 1691م، وحصل على إجازته.[2]

وما إن يفع صاحب الترجمة حتّى شد الرحال إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، فحج لأول مرة سنة 1107ه/ 1696م، فكان ينتهز الفرصة في الحل والترحال للالتقاء بالعلماء والاحتكاك بهم والاستفادة منهم. وأثناء عودته، وهو في طرابلس بلغه نبأ وفاة والده فعاد مسرعاً، وحل محله في رئاسة الزاوية في تسير البلد دينياً ودنيويا.[3]

كان الشيخ محمد بن محمد الطيب يتقلد المشيخة في بلدة خنقة سيدي ناجي، كما كان قاضياً، معيناً من طرف السلطات، فقد كان الناس يلجؤون إليه للفتوى ففي كتابه: «عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام» بعض المسائل التي أجاب عنها. وفي هذا الكتاب أتى بعدد كبير من فتاوى معاصرة للعالم العلامة عبد الله بن عبد الواحد العمراني (أحد علماء بسكرة)، الذي تقلد منصب الإفتاء في بسكرة.[4]

كما كان مترجماً سياسيا بارعا، تم الاعتماد عليه كوسيط بين بايات قسنطينة وبايات تونس، لحل النزاعات بينهم، وقد ذاع صيته فنال احترام وتقدير الولاة العثمانيين، الذين عملوا على كسب وده، فتلقى ظهائر من أحمد باي، والداي مصطفى وحسين باي وغيرهم. حيث تطورت مدرسة الخنقة في

---

(1) الصفاقسي: (1053 1118 هـ / 1643 1706م) علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي: مقرئ من فقهاء المالكية. من أهل صفاقس. رحل إلى تونس ومنها إلى المشرق، فأخذ عن علماء كثيرين دون أسماءهم في " فهرسة " حافلة، وعاد إلى صفاقس. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، أيّار، مايو، 1980 م، ص14.

(2) فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (9251246هـ/15201830م)، ج1، إ:محمد بن معمر،شهادة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 14341435هـ/ 2013_ 2014م، ص223.

(3) فوزية لزغم، المرجع السابق، مج1، ص ص223،224.

(4) المرجع نفسه، مج1، ص224.

عهده ثم على يد ابنه بالخصوص الشيخ أحمد بناصر، فأصبحت من أشهر المدارس الموجودة في غير العواصم، وقد اشتهرت بعلوم النحو والفقه والحديث، وكانت مقصد طلبة الزيبان ووادي سوف والأوراس، وحتّى قسنطينة وعنابة.[1]

ووصفه معاصره الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الواحد العمراني بقوله: «الفقيه، القاضي الوجيه، ذو الرئاستين، وثالث القمرين، محيي آثار الديانة بعد دروسها، ومطلع نهارها بعد أفول أقمارها وشموسها، منفذ القضايا والأحكام، وقاطع علائق الإلحاد في الخصام».[2]

كما نجد وصفاً له آخر في ظهير مؤرخ في سنة 1128هـ، وجهه إليه حسين باي صاحب ولاية قسنطينة، فيقول فيه: «الفقيه النبيه، العالم الوجيه، العلامة البحر الفهامة، المشارك اللوذعي، الفاضل الألمعي، الحاج الناسك الأبر، الشيخ البركة...».[3]

من آثاره كتاب «عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام» ، ألفه سنة 1152ه/ 1739م، وتوفي الشيخ محمد في الخنقة سنة 1154ه/ 1741م ودفن بها.[4]

ب) عبد الحفيظ بن محمد الخنقي:

وصفه عبد المنعم القاسمي الحسني: «أحد أئمة الأولياء، ومشاهير الأتقياء العارف بالله تعالى الشيخ سيدي عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الونجلي الهجرسي الإدريسي الحسني الخنقي». ولد حوالي: سنة 1203ه/ 1789م بخنقة سيدي ناجي-ولاية بسكرة- وبها نشأ وترعرع وحفظ القرآن الكريم، وتفقه

(1) المرجع نفسه، مج1، ص226.

(2) محمد بن محمد الطيب بن أحمد بن المبارك، مسائل في الأحكام الشرعية على المذهب المالكي أو عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام، تن، تق، تع: محمد موهوب بن أحمد بن حسين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002م، ص5.

(3) أحمد بن المبارك، المصدر السابق، ص5.

(4) فوزية لزغم، المرجع السابق، مج1، ص266.

في علوم الدين على يد مشايخها، ثم اتصل بالقطب الأشهر الشيخ سيدي محمد بن عزوز البرجي فتتلمذ عليه وأخذ عنه الطريقة الخلوتية وسلك على يده وأجازه.[1] إذ قال عنه المؤرخ عادل نويهض: «عبد الحفيظ بن محمد الخنقي الجزائري: فاضل، من كبار أساتيذ الطريقة الخلوتية».[2]

ويجمع الذين ترجموا للشيخ عبد الحفيظ الخنقي حسب ما جاء في كتاب «تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد بمنطقة الجلفة وضواحيه» أنّه من الوجوه البارزة في الطريقة الرحمانية ومن الشخصيات الهامة في تاريخها، وأنه من الذين جمعوا بين العلم والعمل والجهاد. وهو رفيق الشيخ الصادق بن الحاج في طلب العلم وفي الجهاد.[3]

حيث سافر الشيخ عبد الحفيظ الخنقي سنة 1232ه مع علي بن عمر و مبارك بن خويدم صحبة شيخهم محمد بن عزوز البرجي لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام. وأنشأ في ذلك قصيدتين مشهورتين إحداهما في فضل حجته صحبة شيخه والأخرى في زيارته لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسس زاويته المعمورة بمسقط رأسه وقصدها طلاب العلم والمعرفة من عدة نواحي.[4]

وكان دور الشيخ الخنقي محورياً في تاريخ الطريقة الرحمانية، فبعد وفاة الشيخ محمد بن عزوز انتقلت زعامة الطريقة إلى الشيخ علي بن عمر تلميذ البرجي، وبالمقابل نجد أنّ تأثير الخنقي كان على المناطق الجنوبية الشرقية، كخنقة سيدي ناجي، الجنوب التونسي. وبوفاة الشيخ علي بن عمر، أصبح

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية، الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، إ: أدعمار جيدل، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، 2008 2009م، ص305.

(2) فوزية لزغم، المرجع السابق، مج1، ص228.

(3) علي نعاس، عبد القادر زياني، تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد بمنطقة الجلفة وضواحيها، دار الكتاب الحديث، ط1424 ه /2004م، ص62.

(4) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط1400/2هـ_1980م، ص102. الزركلي، الأعلام، ج3، ص279.

الشيخ عبد الحفيظ هو شيخ الطريقة الرحمانية في الجنوب، ورمزها الأسمى، والتف حوله المريدون والأتباع، وجمعهم لمقاومة الاحتلال الفرنسي، كما ساهم في مختلف الثورات التي قامت بها الطريقة الرحمانية في هذه المناطق.[1] إذ كان له دور بارز في المقاومة الشعبية بقيادة الشيخ بوزيان، ومن أبرز المعارك التي قادها ضد القوات الاستعمارية بقيادة الضابط الفرنسي (دوسان جرمان) في منطقة وادي براز بناحية سيدي عقبة بتاريخ: 17/ 09/ 1849م وقد لقن الشيخ وأتباعه فيها درسا قاسيا لقوات المستعمر حيث قتل في هذه المعركة قائد الحملة العسكرية (دوسان جرمان) وعدد آخر من جيشه.[2]

حيث ساهم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في حركة التأليف، بل يكاد يكون من أكثر رجال الطريقة الرحمانية عناية بالتأليف والكتابة، فله رسائل ومكتوبات وأشعار غزيرة في التصوف الإسلامي، وهي تشمل على تحليلات نفيسة للنفس في مدارج السلوك ومقامات الولاية وطبقات الولاية وأصحابها، وغير ذلك من المسائل العرفانية الدالة على رسوخ الرجل في علوم التصوف والتربية الروحية. ومن هذه المؤلفات: التعريف بالإنسان الكامل، الجواهر المكنونة، حزب الفلاح ويعتبر من أوراد الطريقة الرحمانية، مصباح الأرواح، الحكم الحفيظية، غنية المريد، سر التفكر، غنية القاري بترجمة ثلاثيات البخاري، غاية البداية في حكم النهاية.[3]

وقد تضاربت الروايات في سبب وفاة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي فبعض المراجع تطرح أنه توفي بمرض الحمى الخطير الذي أصاب المنطقة وأخرى تقول إنه توفي ببسكرة، ومراجع أخرى تقول إنه توفي

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية، ص291.
(2) علي نعاس، المرجع السابق، ص62.
(3) عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية، ص292.

بسبب ما أصيب به من جروح في المعركة.[1] وكانت وفاته رحمه الله حسب ما ذكر من طرف الزركلي سنة 1266ه/ 1850م.[2]

ج) عبد الحفيظ بن محمد الطيب الخنقي:

عرفه عبد الحليم صيد بقوله: «عبد الحفيظ بن محمد الطيب بن أحمد بن المبارك بن قاسم بن ناجي، ولي صالح صوفي، ولد في خنقة سيدي ناجي وبها نشأ وتعلم. أخذ الطريقة الناصرية الشاذلية عن الشيخ الرحالة أحمد بن ناصر الدرعي أثناء مروره بالخنقة».

أخذ عنه التصوف جماعة منهم الشيخ بركات والشيخ أحمد التليلي السوفي.

ضريحه موجود حالياً ببلدة تبيو أحمد التابعة لولاية خنشلة.[3]

د) أحمد بن عمران الخنقي:

أحمد بن عمران الخنقي عالم فقيه مدرس مشارك في علوم كثيرة أصله من خنقة سيدي ناجي تتلمذ لشيوخ عدّة منهم العلامة محمد بن عبد الله المغربي الفاسي.

تصدّر للتدريس في باجة[4] التونسية ورتب له الأمير مرتباً مقابل تدريسه الذي أعجب أهل باجة إعجاباً كبيراً. ووصفه المؤرخ حسين خوجة بقوله: «الفقيه العالم النبيه الشيخ.»[5]

---

(1) علي نعاس، المرجع السابق، ص62.

(2)عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية، ص291.

(3) عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان، الجزائر، 2014م، ص85.

(4) مدينة تونسية داخلية على الطريق الرئيسي المعبد الآتي من بنزرت إلى سوق الخميس وسوق الأربعاء باتجاه الجنوب الغربي. ينظر: يحى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط/1، 1993م، ص148.

(5) المرجع نفسه، ص78.

2. عائلـــــــة البرجي:

أ) محمد بن عزوز البرجي:

هو سيدي محمد بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم بن عبد المومن بن محمد بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن علي بن عبد العزيز بن سليمان بن بلقاسم بن سليمان بن بلقاسم بن أحمد بن ادليم ابن عزوز بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن عبد الرحمان بن علي بن يعلى بن محمد بن بو سعيد ابن عبد الله بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر ابن عبد الله الكامل بن محمد الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله على الجميع.[1]

اشتهر باسم محمد بن عزوز، البرجي نسبة إلى (البرج) في منطقة بسكرة بالجنوب الجزائري، المدينة التي ولد وتوفي ودفن فيها بزاويته الشهيرة التي قامت هناك على الصلاح والتقوى، وقبره يزار على مدار السنة.[2]

ولد الشيخ محمد بن عزوز سنة 1170ه/ 1765م (تقريباً)، وتوفي سنة1233ه/ 1818م، ربيَّ في حجر والده الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف، وحفظ القرآن العظيم واشتغل بتحصيل العلم، فأخذ منه بغيته حتّى تضلع في المعقول، وألف تآليف مفيدة، منها رسالة عالية في قواطع المريد، وشرح على التلخيص وغيرهما، ثم اشتاقت نفسه لعلم الباطن فرحل لزيارة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وأخذ عنه الطريقة وأدخله الخلوة،[3] وفي أثناء تلك المدة التي قضاها في إتمام تربيته وسلوكه افتقدته والدته وحنت إليه حسب ما روي وقول عبد الرحمن بن الحاج بن سيدي علي بن

(1) عبد الرحمن بن الحاج بن سيدي علي بن عثمان، الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بنعزوز، مطبعة النجاح قسنطينة، د/ س، ص 2.

(2) علي رضا الحسيني، شيخ العلماء الصالحين محمد بن عزوز، الدار الحسينية للكتاب، ط 1422ه2001م، ص9.

(3) أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج3، تق:خير الدين شترة، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، ط2013م، ص ص1173،1172.

عثمان: «فذات يوم من الأيام صعدت إلى السطح ونادته بأعلى صوتها ثلاثا فسمعها وهو إذ ذاك في الخلوة. فأخبر أستاذه الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري بذلك فأذن له بالرجوع إلى بلدته البرج لزيارة والدته، وأوصاه شيخه قائلاً: إن ادركتني المنية قبل رجوعك فتمم تربيتك وسلوكك على الشيخ سيدي عبد الرحمن باش تارزي (دفين قسنطينة الآن)، ثم وصل الأستاذ إلى أمه وهم بالرجوع إلى شيخه الأول، فسمع بوفاته فتوجه حينئذ إلى الأستاذ الذي أوصاه عليه شيخه فتمم عليه»،[1] وبعد سلوكه أمره شيخه (عبد الرحمن باش تارزي) بالعودة إلى قريته ونشر الطريقة هناك فقفل راجعاً إلى قرية البرج وبني زاوية هناك لتعليم الخلق وهدايتهم وتصدر للإرشاد والتدريس واشتهر أمره وقصده الناس من كل فج عميق وانتشرت الطريقة الرحمانية في تلك النواحي وصارت تسمى «العزوزية».[2]

وفي سنة 1232ه، سافر لحج بيت الله الحرام مع تلامذته الكاملين سيدي علي بن عمر الطولقي، وسيدي عبد الحفيظ الخنقي، وسيدي مبارك بن خويدم، وكان الركب الذي سافر معه سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن قبل استيلائه على عرش الملك، فتعرف بالشيخ لما رآه فيه من الصلاح ولازمه إلى أن أصبح ذات يوم متألماً وتعطل سير الركب، ولما بلغ خبره مسامع السلطان تحير وعاده حيناً وعالجه فشفاه الله حسب ما قيل، وقال له علي بن عمر على لسان الشيخ: لما شفاني الله على يدك فادع الله بما تريد يستجيب لك فقال: لا أريد الآن إلا ولاية الملك، وهي بعيدة عني إذ بيني وبينها سبعة رجال، فقال: ندعو الله أن تكون لك، وإذا بالمملكة المغربية نزل لها وباء مات فيه السبعة، ولما آب السلطان من الحج وجد رجال دولته في انتظاره فبايعه وبقيت المكتبات الوداية جارية بينهما، ثم إن الشيخ رجع من

(1) عبد الرحمن بن الحاج بن سيدي علي بن عثمان، المصدر السابق، ص 3.

(2) عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر –منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى –ط1، 1427ه، دار الخليل القاسمي، ص288 .

حجه ووجد الوباء ضارباً أطنابه في الزيبان، فكان هو آخر من استشهد به، وذلك سنة 1232ه ودفن بقرية البرج.[1]

وللشيخ ابن عزوز رحمه الله أرجوزة بعنوان: رسالة المريد في قواطع الطريق وسوالبه وأصوله وأمهاته. وشرحها شرحاً وافيا ومفيداً. وهذه بعض أبيات منها:

الحمد لله الذي ألهمنـــــــــــــــا نظم أصول وقواطعـــــــــــــــه لنا
تم صلاته على سر الوجود محمد أكرم واف بالعهـــــــــود
وآله والصحب والأتـــــــباع وكل قطب للرشـــــــــــــاد داع
وبعد أن المرء ليس يشرف إلا بأحكام الذي سيوصـــف[2]

ومن دعاء الشيخ محمد بن عزوز:

«اللهم ارحمني إذا واراني التراب، و وادعنا الأحباب، وفارقنا النعيم، وانقطع النسيم».[3]

ب) المبروك بن عزوز البرجي:

المبروك بن أحمد بن يوسف بن عزوز الحسني البرجي عالم فقيه صوفي من قرية البرج. وهو أخو العالم محمد بن عزوز البرجي الذي عرفناه سابقاً. وبرز من أبنائه في العلم العلامة محمد المدني بن عزوز البرجي دفين نفطة بتونس.[4]

3. عائلة البسكري:

(1) أبو القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ج3، ص 1173.

(2) صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، مكتبة الشرق، باريس، ط2002م، دار البراق، لبنان، بيروت، ص239.

(3) علي رضا الحسيني، شيخ العلماء الصالحين محمد بن عزوز، ص11.

(4) عبد الحليم صيد، المرجع السابق ، ص160.

أ) **محمد الصادق بن مصطفى البسكري:**

هو الشيخ محمد الصادق بن مصطفى بن محمد بن رمضان بن عصمان، المعروف ب»ابن رمضان»، من أصل تركي، وعائلة بن رمضان من الأسر العريقة المعروفة بالعلم والثراء في منطقة بسكرة من رجالات الطريقة الرحمانية وعلمائها العاملين المجاهدين.[1]

وهو من علماء منطقة بسكرة، ولد سنة 1194ه/ 1779م، أخذ علومه عن والده والشيخ محمد بن عزوز وعبد الحفيظ الخنقي،[2] حيث نشأ في أسرة دينية محافظة إذ كان والده الشيخ مصطفى عالماً مبرزاً يدرس علوم الفقه والتفسير بمدينته، أخذ العلم عن والده وأخذ الطريقة الرحمانية عن الشيخ محمد بن عزوز البرجي، ولما توفي الشيخ بن عزوز سنة 1818م أكمل سلوكه الصوفي على يد عبد الحفيظ الخنقي.

شرع في التدريس والتعليم بزاوية والده ببسكرة، ومن الذين أخذوا عنه ابن أخيه الشيخ مصطفى بن رمضان والشيخ موسى بن العابد وغيرهما.[3]

حيث ترك الشيخ عدة مؤلفات مخطوطة أغلبها في الزهد والتصوف:

- تبصرة الذاكرين في طريق السالكين: وهو كتاب في الحكم والمواعظ، يقع في 200 صفحة أوله:»الحمد لله الذي نبه قلوب العارفين من الغفلات، وأيقظهم من سنة الغفلة إلى رفع الستارات ونزه قلوبهم من النقائص والهفوات...»لا يزال مخطوطا.
- تحفة السلوك إلى مقام الملوك: يقع في أكثر من 200صفحة، لا يزال مخطوطا.

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، ص171.
(2) محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج2، دار كردادة، ط/2013م، ص303.
(3) عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، ص171.

- لطائف الحكم أو طب القلوب.[1]

وله أدعية وأذكار متداولة بين أتباع الطريقة الرحمانية. إذ توفي الشيخ في منفاه ببلدة جمورة سنة 1276ه/ 1859م، ونقل جثمانه إلى بسكرة حيث دفن داخل زاويته، وكان يوم دفنه مشهودا.[2]

ب) أبو القاسم البسكري:

أبو القاسم البسكري (12ه/ 18م)، عالم فقيه تولى الافتاء في مدينة بسكرة. التقى به الرحالة الدرعي في بلدة سيدي عقبة، وكان هارباً من بسكرة خوفاً من بطش واليها العثماني الذي يبدو أنّه نقم عليه.

ويرى الشيخ أحمد خمار أنّ أبا القاسم هذا هو من عائلة دبابش البسكرية.[3]

ج) بركات بن محمد القرطبي البسكري:

بركات بن عبد المؤمن البسكري، رجل فاضل من بسكرة كان أمير ركب الحجيج المنطلق من بلدته، التقى به الورتيلاني ووصفه ب «الفاضل الكريم» ولا نعرف عنه غير هذا.(□) حيث يقول الورتيلاني: «ومن بسكرة الفاضل الكامل سيدي بركات نجل الولي الصالح الغوث الواضح سيدي عبد المومن شيخ الركب فيما مضى».[5]

4. عائلـــــة الجلالي:

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، ص172.
(2) المرجع نفسه، ص172.
(3) عبد الحليم صيد، المرجع السابق، ص40.
(4) المرجع نفسه، ص41.
(5) الورتيلاني، المصدر السابق، ص602.

أ) **المختار بن عبد الرحمن الجلالي:**

المختار بن عبد الرحمن بن خليفة الإدريسي الخالدي (نسبة إلى قرية سيدي خالد بنواحي بسكرة بالجنوب الجزائري) الجلالي مؤسس زاوية أولاد جلال، من شيوخ الطرق ببلاد الزاب. ولد بقرية «سيدي خالد» عام 1201ه/ 1784م، من أبوين شريفين ربياه تربية دينية خالصة، حفظ القرآن في سن مبكرة وتفقه على جلة من العلماء وبرز في العقائد وعلم الكلام. ثم ارتحل في طلب شيخ مرب، والتقى بالشيخ محمد بن عزوز البرجي فأخذ عنه العهد والتلقين وبعض سلوكه في تدرج بعض الأسماء، ولما قربت وفاته أوصاه بملازمة خدمة الشيخ علي بن عمر الطولقي، وبعد وفاة الشيخ محمد بن عزوز عام 1233ه، لازم خدمة علي بن عمر ثلاثة عشر عام، مواظبا فيها على الصيام والقيام والعبادة حتّى فتح الله عليه على يد الشيخ علي بن عمر.[1]

وقد تحدث عنه الدكتور أبو القاسم سعد الله إذ قال:»قد أنشأ الشيخ المختار بن خليفة الجلالي فرعاً للرحمانية أو زاوية في أولاد جلال، خدم بها المنطقة وكذلك نواحي أولاد نائل، واشتهر الشيخ الجلالي أيضا بالورع ونشر العلم. ووصفه أيضاً :»كان طويل القامة، قليل شعر اللحية، نظيف البشرة، وله إنشاد في مدح شيوخه، وهو واعظ ماهر ومؤثر، ويروى عنه أنه اشتاق إلى الأكل، فعاقب نفسه بالصيام ثلاث عشرة سنة».[2]

حيث أسس زاوية حوالي عام 1246ه/ 1830م بقريته»سيدي خالد»، وبسبب مشاكل حدثت له من قبل أهلها انتقل إلى قرية أولاد جلال المجاورة، وهناك أسس زاويته التي عرفت شهرة واسعة في

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية، ص 303.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص ص149،150.

ظرف وجيز، وأمها الطلبة من كل حدب وصوب، وكان لها دور كبير في تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس العلوم الشرعية ونشر الطريقة الرحمانية، وإطعام الطعام، وإيواء الفقراء.[1]

وقد أخذ الطريقة على شيخه محمد بن عزوز عن محمد بن عبد الرحمان باش تارزي عن محمد بن عبد الرحمان الأزهري إلى آخر السلسة الصوفية، وقد رثاه الشيخ المكي بن عزوز في إحدى قصائده معتبراً فقده كالليل الدامس. وخلافا لبعض فروع المنطقة فإن الشيخ المختار قد ساند ثورة الزعاطشة (1849)، وأرسل النجدة إلى الشيخ بوزيان هناك، واستجابت الرحمانية على يده لداعي الجهاد،[2] اضطر بعدها إلى الاستسلام عام 1850م، وتخرج على يديه كثير من العلماء الأجلاء لعل أبرزهم: الشيخ محمد الشريف بن الأحرش والشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي والشيخ عطية النايلي.[3]

جمع مراسلات مشائخ الطريقة الرحمانية وكتاباتهم، كما نظم مجموعة كبيرة من القصائد الصوفية أغلبها من الشعر الملحون، كما ذكر له تأليف في التصوف. قال عنه الشيخ محمد بن الحاج محمد:»كان كثير الإنشاد في شيخ شيخه سيدي محمد بن عزوز، وله كلام في الحقائق والوعظ، ويربي بالهمة والحال، جماله أكثر من جلاله، ظريفا لطيفا نظيفا طويل القامة قليل شعر اللحية».[4]

توفي في 19 من ذي الحجة عام 1277ه/ أكتوبر1862م، وخلف وراءه أولادا صغاراً، أوصى بهم وبالزاوية تلميذه الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، وبعد أن رتب محمد بن أبي القاسم شؤون الزاوية و نظم أمورها عاد إلى بلده «الهامل».[5]

عبد الباري الجلالي:

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية، ص303.
(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4 ، ص150.
(3) عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية، ص304.
(4) المرجع نفسه، ص304.
(5) المرجع نفسه، ص305.

عبد الباري الجلالي عالم فقيه التقى به الورتيلاني عند ضريح سيدي خالد ووصفه بالفقه والأدب.[1]

ب) عبد الباقي الجلالي:

عبد الباقي الجلالي عالم فقيه مدرس صوفي، نشأ بأولاد جلال وطلب العلم بها ثم رحل إلى زاوية ابن أبي داود بالقبائل فواصل دراسته هناك. ولما أتمّ تحصيله رجع إلى بلدته وأسّس فيها زاوية علمية كان لها شهرة كبيرة.[2]

يقول الحفناوي نقلاً عن والده في الشيخ عبد الباقي: «وهو شيخ له صيت في صحراء بسكرة، وزاويته مشهورة بالعلم يعرفها الخاص والعام.»

وممّن درس بهذه الزاوية جد الحفناوي المسمى أبا القاسم وإخوته التومي بن الصغير والصحبي والأكحل.»

وكان شيخ الزاوية عبد الباقي متزوجاً بعمتهم المسماة القدحية بنت محمد المبارك ومحمد هذا كان زميل عبد الباقي في طلب العلم بزاوية ابن أبي داود.[3]

د) محمد الشريف الجلالي:

محمد الشريف الجلالي عالم فقيه شريف النسب، من بلدة أولاد جلال، التقى به الورتيلاني عند ضريح النبي سيدي خالد وأثنى عليه خيراً، وجعله مثالاً لأفاضل الزاب الذين التقى بهم حيث قال: «كالشيخ الفاضل الفقيه المدرس في مسائل المختصر للشيخ خليل»

---

(1) الورتيلاني، المصدر السابق، ص5. عبد الحليم صيد، المرجع السابق، ص49.

(2) عبد الحليم صيد، المرجع السابق، ص49.

(3) معجم أعلام بسكرة، المرجع السابق، ص49. الحفناوي، المصدر السابق، ج2، 187.

وبناء على ذلك فإن محمد الشريف كان أحد المدرسين للفقه بأولاد جلال.[1]

5. عائلـــــــة الليوي:

أ) المبروك بن محمد الليوي:

ذكره عبد الحليم صيد في كتابه: «المبروك بن محمد بن محمد الليوي عابد زاهد صالح، من قرية ليوة القريبة من طولقة، عاش بداية حياته في مدينة قسنطينة وأبوه دفين بلدية القراح إحدى ضواحي المدينة المذكورة. حيث هاجر إلى بلدة ليوة واستقر فيها».[2]

زاره الشيخ الحسين الورتيلاني في بلدته ونزل ضيفاً عنده إذ قال: «اجتمعنا أيضاً بالزاهد في الدنيا المتخلي عنها رأساً سيدي المبروك، وسيدي المبروك هو تلميذ الولي الصالح الورع الزاهد سيدي أحمد باباس».[3]

عندما توفي المبروك دفن في ليوة وما يزال ضريحه ظاهراً فيها إلى الآن.[4]

ب) المحفوظ بن المبروك الليوي:

المحفوظ بن المبروك بن محمد بن محمد الليوي عالم صوفي من بلدة ليوة،[5] زاره الحسين الورتيلاني في البلدة المذكورة، وصاحبه ووصفه بأنّه «فاضل عالم متعبد زاهد ورع متمكن عارف منعزل في خلوته مدرس له كرامات عظيمة».[6]

---

(1) الورتيلاني، المصدر السابق، ص5. وينظر أيضاً: عبد الحليم صيد، المرجع السابق، ص50.
(2) عبد الحليم صيد، المرجع السابق، ص199.
(3) الورتيلاني، المصدر السابق، ص ص5، 6.
(4) عبد الحليم صيد، المرجع السابق، ص199.
(5) المرجع نفسه، ص199.
(6) الورتيلاني، المصدر السابق، ص547.

من آثاره: مرائي مخطوطة: قيدها عنه تلامذته ذكرها الورتيلاني ويبدو أنّه اطلع عليها، وقد وقف عليها الشيخ يوسف النبهاني، وذكر أنّها تقع في كراسة وتضم خمسين رؤيا نبوية، ويبدو أنّ المحفوظ مثل والده دفين بلدة ليوة.(1)

6. أحمد بن محمد الهجرسي:

أحمد بن محمد الونجلي الحافظي الهجرسي الإدريسي الحسني، هو جد الأسرة الحافظية، وأبرز أبنائها عبد الحفيظ الخنقي من كبار رجالات التصوف في القرن12ه.

كان الشيخ أحمد بن محمد الحافظي يسيح في الأوراس ويعلم الناس الشريعة، وتوقف مدة في الزاب الشرقي، وفي أواخر القرن الحادي عشر الهجري أسس زاوية ب»زريبة الوادي» لنشر العلم والطريقة الصوفية، ثم انتقل إلى الخنقة وفيها درس العلم سيما الرياضيات والفلك بإشارة من صديقه محمد الطيب بن محمد بن أحمد المبارك زعيم بلدة الخنقة. (2) فهو ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم والدين وهو مؤسس زاوية خنقة سيدي ناجي ومن كبار رجالات التصوف، امتد تأثيره إلى مناطق مختلفة من الشرق الجزائري وإلى الجنوب التونسي.(3)

وتوفي بالخنقة في بداية القرن الثاني عشر الهجري، مخلفا ابنه عبد الحفيظ الذي واصل مسيرة سلفه، وخلفه ابنه أحمد ثم ابنه محمد، ثم ابنه الشيخ عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد رائد الطريقة الرحمانية في الخنقة.(4)

7. أحمد بن عزوز:

---

(1) الورتيلاني، المصدر السابق، ص547. عبد الحليم صيد، المرجع السابق، ص199.

(2) فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، مج1، ص228.

(3) عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية، ص305.

(4) فوزية لزغم، المرجع السابق، مج1، ص228.

عاش خلال القرن الثاني عشر الهجري وهو معاصر لمحمد بن محمد الطيب، ومن المسائل التي أوردها هذا الأخير في كتابه قضية أو مسألة أصحابها من طولقة، ترافعوا إلى القضاة والحكام في منطقة بسكرة، ومن الرجال الذين مرت على أيديهم أحد أفراد هذا البيت من خلال الاسم، بحيث ذكر هكذا»بعد حكم السيد أحمد بن عزوز»، وهذا يؤكد أنه كان قاضياً.[1]

8. أحمد بناصر بن محمد بن محمد الطيب:

لا شك في أنه أخذ العلم على علماء الخنقة بزاوية أسرته، أما مكانته العلمية فيثبتها اهتمامه بمدرسة أسرته، والتي عرفت بالمدرسة الناصرية، والتي يوجد على بابها الخارجي كتابة منقوشة على الرخام تقول أنها بنيت على يد أحمد بن ناصر في شهر رجب سنة 1171ه/ 1757م. والغالب على الظن أن هذا التاريخ هو تاريخ تجديد وليس تاريخ البناء الأصلي، ولهذا يرجح أنها معروفة بالمدرسة الناصرية نسبة إلى مجدد بنائها، وليس إلى الطريقة الناصرية الشاذلية.[2]

9. علي بن عمر الطولقي:

هو علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن الموفق بن عمر بن أحمد ابن علي بن عثمان بن يوسف بن عمران بن يونس بن عبد الرحمن بن سليمان بن أحمد بن علي بن أبي القاسم بن علي بن احمد بن حسين بن سعد بن يحي بن محمد بن يوسف بن لقمان بن علي بن مهدي بن صفوان بن يسار بن موسى بن عيسى بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمد الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.[3]

---

(1) فوزية لزغم، المرجع السابق، مج1، ص ص230،231.

(2) عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية، ص226.

(3) عبد الرحمن بن الحاج بن سيدي علي بن عثمان، المصدر السابق، ص ص14، 15.

حيث عرفه سليمان الصيد :»هو الشيخ وليّ الله التقي العابد الزاهد: علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن الموفق. ينتهي نسبه إلى الشيخ علي بن عثمان الشريف الحسيني، دفين بلدة الدوسن، وهو معروف بها الشيخ (علي بنعثمان) عليه مسجد وقبة يزوره الناس للتبرك به، وبلدة الدوسن هذه توجد في منطقة أولاد جلال (ولاية بسكرة).[1]

ولد ببلدة طولقة (ولاية بسكرة) حوالي سنة 1164ه/ 1750م، وذكره كل من علي نعاس وعبد الرحمن بن الحاج بن سيدي علي بن عثمان: «كان مجبولا على حب العبادة والخلوة، حتّى إنه اتخذ لنفسه موضعاً للعبادة يسمى: «الشهب» وهو جبل قريب من مدينة طولقة (نحو 15ميلا) وصار يتعبد بهذا الموضع بعيداً عن الناس وكان له ابن عم يسمى علي أيضا وهو تلميذ للشيخ محمد بن عزوز فعرض عليه ذات يوم الدخول في طريقة الشيخ محمد بن عزوز فأجابه لذلك، وذهبا معا إلى الشيخ واجتمعا به وتحدثا معه في موضوع ما جاءا من أجله فقال علي: هذا ابن عمي وإنه رجل تقي ومتدين ويريد أخذ الطريقة منك، فأجابه الشيخ محمد بن عزوز قائلا: لا يأخذ الطريقة مني إلا إذا كان متوضئا صائما، فقال له إنه متوضئ صائم فقال له الشيخ: ما اسمه؟ قال: اسمه علي بن اعمر فقال له الشيخ تقدم يا ولدي أنت صاحبها، ومعنى هذه الكلمة «أنت صاحبها»، أن الشيخ محمد بن عزوز، بعدما نال مقصوده ومراده من تربية وسلوك على يد شيخه عبد الرحمان باش تارزي رضي الله عنه، قفل راجعا إلى بلدته «البرج».[2]

ويقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: «إن الشيخ علي بن عمر قد أخذ الطريقة الرحمانية عن الشيخ محمد بن عزوز عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن باش تارزي عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري، وتذهب بعض المصادر إلى أن علي بن عمر قد أخذ مباشرة عن الأزهري أثناء رجوعه من الحج سنة 1794م، حين زاره الأزهري سنة وفاته، بجرجرة ولذلك أخذ علي بن عمر أيضاً لقب القطب وشيخ

(1) سليمان الصيد، تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومه، بوزريعة، الجزائر، ص09.
(2) علي نعاس، المرجع السابق، ص102. عبد الرحمن بن الحاج بن سيدي علي بن عثمان، المصدر السابق، ص15.

الشيوخ. وعلي بن عمر قيل إن أصله من أشراف الساقية الحمراء، هاجر أجداده في القرن الخامس عشر الميلادي، ولم يكن ينتمي إلى أية طريقة صوفية أخرى قبل أخذ الرحمانية. وقد حج مرة أخرى مع شيخه محمد بن عزوز».[1]

حيث أمره شيخه محمد بن عزوز البرجي بإقامة زاوية خاصة به لما لمس فيه من صلاح وتقي، ولما أصبح قادراً على التربية والتوجيه والإرشاد، امتثل المريد لأمر شيخه وأسس زاويته المعروفة الآن بمدينة طولقة التي طبقت شهر الآفاق، وكان مكانها يسمى «حارة الهبرة».[2]

ولما قربت وفاة شيخه أوصاه على أولاده، فمنهم من مات تحت كفالته كمحمد وهو مدفون بقربه، وكمصطفى الذي تولى رئاسة الزاوية لمدة ستة أشهر بعد وفاة شيخه علي بن عمر، وحاز على رضا أستاذه عنه وحبه الكبير، وقد مدحه كثيراً.[3]

قال عنه علي نعاس و عبد الرحمن بن الحاج بن سيدي علي بن عثمان: «كان الشيخ علي بن عمر كثيراً ما يحض على طاعة الله ورسوله ومحبة الشيخ والامتثال لما يأمر بذلك شيخه، لا يفعل شيئاً إلا بمشاورة شيخه، وإذا فعل شيئاً من غير مشورته أتاه معتذرا مما صدر منه. فمن ذلك ما روي أنه بني موضعا في زاويته من غير مشورته، فلما ذهب لزيارته قال له: يا علي، فأجابه بنعم، فقال له: صار الرجال يقضون أمورهم من غير مشورة، فاستحى منه ولم يجبه بشيء وذهب مسرعاً إلى داره بطولقة ، وعاد راجعاً إلى شيخه يحمل في جيبه مائة وخمسة وعشرين فرنكاً، وآلة هدم – فأس–وجلس أمام شيخه جلسة المملوك خاضعاً متذللاً، قائلاً له: إن عفا عني سيدي فها هي جزاء خطيئتي وهي الدراهم،

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص147.
(2) عبد المنعم قاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية، ص295.
(3) علي نعاس، المرجع السابق، ص103. عبد الرحمن بن الحاج بن سيدي علي بن عثمان، المصدر السابق، ص16.

وإن لم يعف عني فها هو الفأس وسأذهب إلى الزاوية وأهدم ما فعلت، فقال له لا تفعل قد عفوت عنك، فذهب من عنده وهو فرح مسرور برضا شيخه».[1]

وكان رحمه الله، كلما وقعت فتنة بين الناس قريبة أو بعيدة يذهب بنفسه ليطفئ لهيبها، ويزيل أسبابها ويصلح بين أهلها. وهكذا كانت حياته، جهاداً متواصلا بدون انقطاع في سبيل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله)، وفي خدمة مخلوقات الله إلى أن انتقل إلى رحمة الله.[2]

إذ توفي الشيخ علي بن عمر بعد إصابته برصاصة أصابته خطأ من طرف أقوام جاء ليصلح بينهم، وبإصابته وموته توقف النزاع ووقع الصلح بين المتنازعين، ودفن الشيخ بزاويته التي تسمى باسمه وتدعى أيضاً الزاوية العثمانية الرحمانية.[3] وكانت وفاته رحمه الله: 1258ه/ 1842م.[4]

10. عبد المعطي المليلي:

قال عنه عبد الحليم صيد: «عبد المعطي المليلي عالم فقيه من بلدة مليلي من قرى الزاب الغربي بولاية بسكرة، ذكره الرحالة أحمد بن ناصر الدرعي في رحلته ولا نعرف عنه غير هذا».[5]

11. الرماني:

هو محمد بن عبد الواحد الرماني البسكري من أهل بسكرة ابن عبد الواحد الرماني البسكري، استقبل أحمد بن ناصر الدرعي المغربي والحسين الورتيلاني الجزائري في بسكرة، وأجاب الأوّل عن الاستفسارات حول بعض أعلام المنطقة.[1]

---

(1) علي نعاس، المرجع السابق، ص102. عبد الرحمن بن الحاج بن سيدي علي بن عثمان، المصدر السابق، ص ص16،17.
(2) المرجع نفسه، ص105.
(3) عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، ص155.
(4) علي نعاس، المرجع السابق، ص105.
(5) عبد الحليم صيد، المرجع السابق، ص213.

وقال الدرعي عن والده: «خرج إلينا أيضاً من فقهاء البلد سيدي عبد الواحد الرماني، وهو أيضاً رجل من أهل الخير، غلبت عليه الديانة والانقطاع عن الخلق، وقرأ علي أولاً صحيح البخاري من رواية أبي ذر..».[2]

والتقى الدرعي أيضاً «سيدي محمد الصالح، وهو رجل من أهل الخير، منفرد في مسجد له بإزاء داره، يلازم فيه الصلوات الخمس، ويجتمع إليه ناس من أصحابه، يذكرهم ويعلمهم».[3]

ومن ذلك تبقى هذه الفترة أهم محطة من محطات تاريخ الزيبان، لتميزها بعلمائها الذين كانوا جوهرة عصرهم، فقد ساهموا في تخليص المجتمع من أدران الجهالة والكفر، وتخرج على أيدهم العديد من العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في نشر العلم والعلوم، وكانوا أحسن خلفاً لرجال عظماء.

□

(1) المرجع نفسه، ص105.

(2) أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية (1709 1710م)، تح، تق: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، ط 1/ 2011م، ص140.

(3) المصدر نفسه، ص140.

خاتـمـــــــــــــة:

ممّا لاشك فيه أن منطقة الزيبان كانت حافلة بالعلماء الذين برزوا وأبرزوا بشخصياتهم العلمية دورهم الكبير في الحياة الثقافية، حيث امتازت المنطقة بكثرة العائلات العلمية في القرن 12ه/ 18م، وأشعت بالازدهار العلمي والإشعاع الثقافي، وذلك من خلال الكوكبة العلمية التي أبرزت مدى اهتمام منطقة الزيبان بالعلم والعلوم.

ولعل هذا ما ميزها عن باقي الفترات الأخرى بسبب الحركة العلمية النشيطة التي ساهمت في حمل راية الإسلام والجهاد مع بعض، فقد ساهم علمائها في نشر العلوم من فقه وعقيدة وعلم الكلام وحتّى الشعر والرياضيات وعلم الفلك والتصوف والعديد من العلوم الأخرى.

كما ساهموا في إنشاء الزوايا في مختلف مدن الزيبان، حيث تعددت الطرق الصوفية من الرحمانية والناصرية والخلوتية وغيرها من الطرق الصوفية الأخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج3، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط: 1407ه،1987م.

2. بسكر محمد، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج2، دار كردادة، ط/ 2013م.

3. حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج5، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط: 2011م.

4. الحسيني علي رضا، شيخ العلماء الصالحين محمد بن عزوز، الدار الحسينية للكتاب، ط 1422ه-2001م.

5. الحموي ياقوت، معجم البلدان، مج3، دار صادر، ط:1 لونين بيروت 1993، ط:2 لونين بيروت 1995.

6. بن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:2/ 1408ه-1988م.

7. الدرعي أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر، الرحلة الناصرية (1709- 1710م)، تح، تق: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، ط 1/ 2011م.

8. شامي يحى، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط/ 1، 1993م.

9. صيد عبد الحليم، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان، الجزائر، 2014م.

10. الصيد سليمان، تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومه، بوزريعة، الجزائر.

11. بن عثمان عبد الرحمن بن الحاج بن سيدي علي، الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بنعزوز، مطبعة النجاح قسنطينة، د/ س.

12. العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، مكتبة الشرق، باريس، ط2002م، دار البراق، لبنان، بيروت.

13. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/ 1998م.

14. أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج3، تق:خير الدين شترة، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، ط2013م.

15. عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر –منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى –ط1، 1427ه، دار الخليل القاسمي.

16. بن المبارك محمد بن محمد الطيب بن أحمد، مسائل في الأحكام الشرعية على المذهب المالكي أو عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام، تن، تق، تع: محمد موهوب بن أحمد بن حسين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

17. نعاس علي، عبد القادر زياني، تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد بمنطقة الجلفة وضواحيها، دار الكتاب الحديث، ط1424 ه / 2004م.

18. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2/ 1400ه_1980م.

19. الورتيلاني الحسين بن محمد، الرحلة الورتيلانية (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار)، مطبعة بيير فونتانا الشرقية في الجزائر، 1326ه/ 1908م.

20. القاسمي عبد المنعم الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية، الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، إ: أد-عمار جيدل، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، 2008 -2009م.

21. لزغم فوزية، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246ه/ 1520-1830م)، ج1، إ:محمد بن معمر، شهادة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 1434-1435ه/ 2013_ 2014م.